البيان

في ذكر مختصر اعتقاد أهل السنة والإيمان

جمع وترتيب

د/ أبو إلياس

طه بن إبراهيم القلموشي

المصري

JANUARY 7, 2025

دار الدعوة

القاهره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نوّر قلوب المؤمنين بنور التوحيد، وأقام الحجة عليهم برسله وكتبه، وشرع لهم من الدين ما تزكو به النفوس، وتطمئن به القلوب، وتتحقق به النجاة في الدنيا والآخرة. والصلاة والسلام على النبي الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد...

فإنّ عقيدة أهل السنة والجماعة هي صفوة ما جاء به الوحي، وميراث ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وهي النبراس الذي به تهتدي القلوب، وتستقيم العقول، وتنتظم حياة العبد على بصيرة ويقين. وهي عقيدة التوحيد الخالص، والإيمان الصحيح، والمنهج المتزن، والوسطية التي لا إفراط فيها ولا تفريط.

فهي العقيدة التي جمعت بين الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، واليقين بعدله وقضائه، والتصديق برسله وكتبه، والخضوع لشرعه وحكمه، والرجاء لرضوانه ورؤيته، والخوف من سخطه وعذابه.

كما جمعت بين العمل للدنيا بالنية الصالحة، والآخرة بالطاعة الخاشعة، وبين حب الخير للناس، والسعي في وحدتهم وصلاحهم، والتمسك بالجماعة والسنّة، والبعد عن الفتن ومظان الفرقة والاختلاف.

وفي هذه الصفحات المختصرة، التي أسميتها (البيان في ذكر مختصر اعتقاد أهل السنة والإيمان) جعلنا الله وإياكم منهم ، تلخيص لما تضمنته عقيدتهم من أصول إيمانية كبرى، ومقامات عقدية راسخة، وأخلاق وعبادات تُظهر أثر العقيدة في واقع السلوك والمعاملة. بأسلوب سردي مترابط، جامعٍ بين الحُسن

في العرض، والوضوح في العبارة، مع الحرص على الأمانة العلمية والبيان النقي الموافق للكتاب والسنّة.

فأسأل الله تعالى أن ينفع بها القارئ، ويجعلها نورًا في قلبه، وثباتًا في يقينه، وسبيلًا إلى النجاة ورضوان الله تعالى ، والله الموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

يؤمن أهل السنة والجماعة والتوحيد والإيمان – ونؤمن أيضا بكل ذلك – إيمانًا راسخًا متينًا بأصول الإيمان الستة: الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. وهذا الإيمان ليس مجرد إدراك ذهني، بل هو يقين يفيض على القلب والجوارح، ويدفع إلى العمل والإنابة إلى الله تعالى .

ويشهدون أن الله وحده هو الإله الحق، رب السماوات والأرض، المتفرد بالكمال والجلال، فلا رب سواه، ولا معبود بحق غيره. أفردوه بالعبادة كما أفردوه بالخلق والتدبير والتصرف والحكم ، وأخلصوا له الدين، يرجون ثوابه، و يخشون عقابه، و يتوكلون عليه.

ويعرفونه جل جلاله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، ويؤمنون أنه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، وكل هذه الأسماء تدل على إحاطة الله تعالى بكل شيء علمًا، وقدرة، ووجودًا.

ويعتقدون أن الله سبحانه وتعالى عالٍ على خلقه، بائن منهم، مستوٍ على عرشه استواءً حقيقيًا يليق بجلاله وعظمته، لا يشبه استواء المخلوقين، ولا يحدّه زمان ولا مكان. ومع علوه، فهو محيط بعباده علمًا، لا يخفى عليه خافية، يسمع

كلامهم، ويرى أعمالهم، ويطلع على سرهم ونجواهم. فهو القريب المجيب، لا تلتبس عليه الأصوات، ولا يشغله شأن عن شأن.

ويؤمنون بأن الله تعالى غني عن العالمين، صمد قائم بنفسه، وكل ما سواه محتاج إليه في وجوده وبقائه، وفي رزقه وهدايته. لا غنى لأحد عنه طرفة عين، وهو البر الرحيم، لا تصل إلى العباد نعمة إلا منه، ولا يندفع عنهم ضر إلا بإذنه.

ومن سعة رحمته ولطيف عطائه ما أخبر عنه النبي ﷺ، أن الله عز وجل ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، نزولًا يليق بجلاله وعظمته، لا يشبه نزول المخلوقين، ويُنادي عباده نداء تفضُّل ورحمة، قائلًا: "من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟" ، فيمد لهم أبواب الرجاء، ويدعوهم للصفح والمغفرة حتى يطلع الفجر، فتلك رحمته التي وسعت كل شيء، وتلك دعوته التي لا يُرد معها سائل، ولا يخيب معها مستغفر.

وهذا الإيمان مقرون بالتنزيه، فيقولون كما قال ربهم: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، فيثبتون له الصفات من غير تشبيه ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، إثباتًا يليق بذاته العظيمة. ويعترفون بحكمته البالغة في خلقه وأمره، فما خلق شيئًا عبثًا، ولا شرع حكمًا إلا لحكمة، فكل تشريع منه عدل ورحمة، وكل قضاء منه علم وحكمة.

ويؤمنون بأنه التواب العفو الغفور، يقبل التوبة عن عباده مهما عظمت ذنوبهم، ويغفر السيئات، ويشكر القليل من العمل، ويثيب عليه بأضعاف مضاعفة.

وهو سبحانه يتكلم متى شاء وكيف شاء، بصوت يُسمع، كما كلم موسى تكليمًا، وكما يتكلم مع خلقه يوم القيامة، ومن أعظم ما تكلم الله به: القرآن

الكريم، الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ، هدى ونورًا، فهو كلامه عز وجل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، محفوظ في اللوح، متلو بالألسن، مكتوب في المصاحف، يعيش به المؤمنون في كل زمان ومكان، يهتدون بنوره، ويتعبدون بتلاوته.

ويعتقدون أن الله تعالى لم يزل ولا يزال فاعلًا لما يشاء، مريدًا لما يريد، وأن صفاته أزلية باقية، وأن له صفات ذاتية لا تنفك عنه، وصفات فعلية تتعلق بمشيئته، كالنزول، والمجيء، والضحك، والرضا، والسخط، والحب، والبغض، وغير ذلك مما وردت به النصوص كل بما يليق بجلال ربنا وكماله.

ويعتقدون أن الله تعالى غنيٌّ بنفسه، لا يحتاج إلى شيء من خلقه، ولا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم، فهو الغني المطلق، والخلق كلهم فقراء إليه، لا غنى لهم عنه طرفة عين، لا في وجودهم ولا في بقائهم، ولا في أرزاقهم ولا في هدايتهم. كل نفس محتاجة للطفه، وكل ذرة من الوجود تسبح بحمده وتخضع لقهره.

والله هو المنعِمُ في كل ما بالعباد من نعم دينية أو دنيوية، صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها، فهو الذي أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وهدى القلوب، وشرح الصدور، وهو الذي خلق الأرزاق، وهيّأ الأسباب، ودفع النقم، ورفع البلاء، فهو الجالب للنعم، والدافع للنقم، لا شريك له في ذلك، ولا مُعين.

ومع علوه واستوائه على عرشه، فإن رحمته قريبة، وسمعه محيط، وبصره نافذ، وعلمه شامل، فلا يغيب عنه صوت الداعي، ولا تضيع عنده دمعة المنيب، بل يسمع ويرى، وهو السميع البصير، كما أخبر تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).

فلا يُشبّه بخلقه، ولا يُكيّف له وصف، ولا يُحد له حد، بل يُعرف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، فيجمع أهل السنة بين التعظيم والتنزيه، وبين الإيمان والإجلال، في عقيدة محكمة متوازنة لا إفراط فيها ولا تفريط.

ويعتقدون أن الله تعالى حكيم في خلقه وأمره، له الحكمة البالغة التي تحار فيها العقول، فما خلق شيئًا عبثًا، ولا سنّ شريعة إلا لمصلحة، ولا قدّر قدرًا إلا لحكمة ظاهرة كانت أو خفية، علمها من علمها، وجهلها من جهلها. فكل ما في الكون من أحداث وتقلبات، وكل ما في الشريعة من أوامر ونواه ، كلها جارية على ميزان الحكمة والعدل، له الحمد في الأولى والآخرة.

ويؤمنون أن الله تعالى هو التواب الكريم، العفو الرحيم، الغفور الودود، يقبل توبة التائبين مهما عظمت ذنوبهم، ويعفو عن السيئات، ويغفر الخطايا، ويبدل السيئات لمن أخلص الأوبة، وصدق الإنابة حسنات.

وهو سبحانه الشكور، يشكر لعباده القليل من العمل، ويرفعهم به درجات، ويضاعف لهم الأجور، ويزيد الشاكرين من فضله، ويفتح لهم أبواب الخيرات من حيث لا يحتسبون.

وقد وصف الله تعالى نفسه بأوصاف الكمال، ونعوت الجلال ، فيثبت أهل السنة لله تعالى ما أثبته لنفسه في كتابه، أو جاء به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تمثيل ولا تشبيه.

فمن صفاته الذاتية: أنه حي حياة كاملة لا يلحقها موت، سميع بصير، له السمع الكامل والبصر النافذ، قدير لا يعجزه شيء، عظيم الجلال والكبرياء، له المجد

الكامل، والجمال المطلق، وهو المحمود سبحانه ، له الحمد كله، في الأولى والآخرة.

ومن صفاته ما يتعلق بمشيئته وقدرته، كالرحمة التي وسعت كل شيء، والرضا الذي يناله المطيعون، والسخط الذي ينزل على الكافرين، والغضب على المعتدين، والكلام، فهو يتكلم بما يشاء، متى يشاء، كيف يشاء، وكلامه لا يشبه كلام المخلوقين، وكلماته لا تنفد، لا يحيط بها الحصر، ولا يبلغها العد، بل هي باقية أبد الآباد، عظيمة في معناها ومبناها، هادية لمن أراد الله له الهداية.

ويعتقدون أن الله تعالى لم يزل ولا يزال يفعل ما يشاء بحكمة، ويقضي ويحكم بين خلقه، بأحكامه القدرية التي تقع في الكون، والشرعية التي جاءت بها كتبه، والجزائية التي يُثيب بها أهل الطاعة، ويعاقب بها أهل العصيان.

فهو الملك الحاكم ، المتصرف في خلقه بما يشاء، لا يُنازعه أحد في حكمه، ولا يخرج مخلوق عن سلطانه، فالكل عبيده، والكل تحت قهره، وكلهم داخلون في ملكه، محكومون بعدله، محتاجون لرحمته.

ويؤمن أهل السنة والجماعة بكل ما ثبت في كتاب الله تعالى وصحيح سنة رسوله ﷺ من أمر الآخرة، وما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين من النعيم العظيم، فإنهم يعتقدون يقينًا أن المؤمنين يرون ربهم سبحانه يوم القيامة رؤية حقيقية بالأبصار، عيانًا لا خفاء فيها، كما يشاء الله تعالى ، يرونه كما أخبر في القرآن، وأخبر نبيه في السنن المتواترة، وهي أعظم النعيم على الإطلاق، لا تعدلها لذة، بل هي أكمل النعيم وأعلاه، وأطيب ما تُقرُّ به العيون وتطمئن به القلوب، وبه يبلغ أهل الجنة تمام الرضا والسرور.

ويعتقدون اعتقادًا جازمًا أن من مات على غير الإيمان والتوحيد الخالص، فهو مخلّد في نار جهنم خالدًا فيها أبدًا، لا يخرج منها، ولا يُخفف عنه العذاب، ولا يُنظر إليه بعين رحمة، كما وعد الله في كتابه، وتوعد في حكمه العدل.

وأما من مات من عصاة الموحدين، ممن ارتكب الكبائر ولم يتب ولم تتداركه رحمة الله بشفاعة أو مغفرة أو مصائب كفّارة، فإنهم داخلون تحت مشيئة الله: إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم. فإن دخلوا النار، فإنهم لا يخلدون فيها، بل يعذبون بقدر ذنوبهم، ثم يخرجون منها برحمة الله، فلا يخلّد في النار من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، كما ثبت في الحديث الصحيح، ويبقى فيها الكفار وحدهم دون غيرهم.

ويؤمنون أن الإيمان قول وعمل، ظاهر وباطن، لا يُفهم على أنه مجرد تصديق القلب دون أثر، بل هو يشمل:

اعتقاد القلب، وأقوال اللسان، وأعمال الجوارح، فمن استكمل هذه الأركان، فهو المؤمن الحق، الذي وعده الله بالجنة، وأمنه من العذاب. ومن نقص من ذلك شيئًا، نقص إيمانه بحسب ما فاته من الواجبات، أو ما ارتكبه من المحرمات، ولكنه لا يخرج من الملة ما لم ينقض أصل الإيمان.

فالإيمان عندهم يزيد بالطاعات والقربات، ويقوى بالذكر والصلاة والصيام وسائر أعمال البر، وينقص بالمعاصي والذنوب، ويضعف بالهوى والغفلة، ولهذا فهم دائمًا في سعي لترقيته، وحفظه، وتجديده، وجعله أعز ما يملكون.

ويعتقد أهل السنة والجماعة أن من تمام الإيمان وحسن العمل أن يسعى العبد في نفع نفسه ومجتمعه، في دينه ودنياه، لا يعيش في عزلة عن مصالح الدنيا، ولا يغفل عن أمر الآخرة، بل يجمع بين العلم النافع والعمل الصالح والتوكل

الصادق، فيبذل الأسباب ويسأل ربه التوفيق والسداد. فهم أهل جدٍّ وحرص، يسألون الله العون في كل شأن، ويجعلون وجه الله غايتهم في كل جهدٍ ، لا يلتفتون إلى مدح الخلق ولا إلى حظوظ النفس.

ويجتهدون في تحقيق الإخلاص في جميع أعمالهم، يراقبون النية، ويجددون العهد مع الله في كل حركة وسكون، لا يُراؤون، ولا يطلبون بعملهم سمعة ولا جاهًا، وإنما يبتغون وجه الله ورضوانه. والإخلاص عندهم قرين الاتباع، فلا عبادة تُقبل بغير متابعة للنبي ﷺ، ولا متابعة تُقبل بغير إخلاص للمعبود سبحانه، فشعارهم الدائم: «الإخلاص والمتابعة».

وهم في ذلك يقتدون بخاتم المرسلين ﷺ، ويشهدون له بالنبوة والرسالة، ويؤمنون أنه عبد الله ورسوله، أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، فبلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين. أرسله الله تعالى إلى الثقلين، الإنس والجن، ليكون بشيرًا ونذيرًا، وسراجًا منيرًا، يدعو إلى الله تعالى على بصيرة، ويهدي الناس إلى سبيل الرشد والعبادة، ويصلح لهم شؤون دينهم ودنياهم، ويقيم الحجة على المعرضين.

ويعتقدون أنه ﷺ أعلم الخلق بربه، وأصدقهم لهجة، وأنصحهم نصيحة، وأكملهم خلقًا وبيانًا، وأنه لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذّرهم منه، فهو أتم الخلق خلقًا وخُلقًا، وأكملهم في مقامات العبودية.

ولهذا فهم يعظمونه محبةً واتباعًا، يوقّرونه ويحبونه، ويقدّمون محبته على محبة النفس والولد والناس أجمعين، يُقدّمون قوله على أقوال الناس كافة، وهديه على هدي غيره، فما أمر به فهو الحق، وما سنه فهو الهدى، وما نهى عنه ففيه

الهلاك. لا يقدمون بين يديه رأيًا ولا قولًا، ولا يفضلون قول أحد من الناس ، على قوله ﷺ مهما علا شأنه.

ويعتقدون أن الله تعالى خصّ نبيه محمدًا ﷺ من الفضائل والمناقب، والخصائص والمكرمات، ما لم يمنحه لأحد من خلقه، فقد جعله أعلى الخلق منزلة عنده ، وأشرفهم مقامًا، وأعظمهم جاهًا ، وجعل لواء الحمد بيده، وله المقام المحمود ، والحوض المورود ، وهو خاتم النبيين وسيد ولد آدم أجمعين.

ويعتقدون أنه ﷺ أكمل الخلق في كل خصلة فاضلة، لا يُدانيه أحد في صدقه ولا نصحه، ولا أمانته ولا علمه، فقد دلّ أمته على كل خير، صغيرًا كان أو كبيرًا، ظاهرًا أو باطنًا، ولم يترك لهم بابًا للشر إلا حذّرهم منه، ولا بابًا للهدى إلا دلهم عليه، حتى قال ﷺ: «ما بعث الله نبيًا إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، ويحذرهم من شر ما يعلمه لهم» .

ويؤمنون بكل كتاب أنزله الله تعالى على أنبيائه، سواء علموا أسماءه أو لم يعلموا، كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى، ويوقنون أن القرآن الكريم هو آخر الكتب، ناسخ لما قبله، محفوظ من التبديل والتغيير.

كما يؤمنون بجميع الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده، يقرون برسالتهم ويجلّون منزلتهم، لا يفرقون بين أحد منهم، كما أمر ربهم بقوله: {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ}، ويعتقدون أن خاتمهم وأفضلهم هو محمد ﷺ.

ويعتقدون أن الإيمان بالقدر أصل من أصول الدين، وأنه يشمل أربع مراتب لا يتم الإيمان إلا بها:

1. العلم: أن الله تعالى علم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، علمًا أزليًا أبديًا.

2. الكتابة: أن الله كتب مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

3. المشيئة: أن كل ما في السماوات والأرض لا يكون إلا بمشيئة الله، لا يخرج عن إرادته شيء.

4. الخلق: أن الله خالق كل شيء، وخلق أفعال العباد، خلقهم وخلق قدرتهم واختيارهم، ومع ذلك فهم مختارون لأعمالهم، غير مجبورين عليها، يُحاسَبون عليها عدلًا، ويُجازَون بها فضلًا أو عدلًا.

ويقرّون أن الله تعالى بحكمته وعدله زين الإيمان في قلوب المؤمنين، وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، فصاروا يحبون الطاعة، وينفرون من المعصية، لا بحولهم ولا قوتهم، وإنما بتوفيق الله وهدايته، وهو أعلم بمن يستحق الهداية ويؤهل لها.

ومن أصولهم الراسخة: أنهم يرون أن الدين لا يقوم إلا بالنصيحة، فهي عمود الأخوّة، وأساس الجماعة، وسبب الثبات. فهم يُدينون لله بالنصيحة الخالصة: لله تعالى في الإخلاص والتوحيد، ولكتابه في التلاوة والتدبر والعمل، ولرسوله ﷺ في المحبة والمتابعة، ولأئمة المسلمين في الطاعة بالمعروف والدعاء لهم، ولعامة المسلمين في الرحمة والتعليم والتوجيه والصبر عليهم ، كما يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، إقامةً للشرع، ورحمةً بالخلق .

ويحثّون على بر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران، والرفق بالمماليك والعمال وكل من في كنف الإنسان، ويرون أن من تمام الإيمان حسن الخلق مع الخلق، والإحسان إلى الناس كافة، بالقول الجميل والخلق الحسن.

ويعتقدون أن حسن الخلق من أعظم مقامات الدين، وأجلّ ما يتقرب به العبد إلى ربه، فالدين عندهم ليس عبادات بدنية مجردة، بل سلوك وقيم ظاهرة، تتجلى في المعاملات والأدب والتواضع والصدق والعفة والحياء، وغيرها من مكارم الأخلاق التي دعا إليها الإسلام، وأكملها النبي ﷺ، فقال: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق" .

ولهذا فهم يدعون إلى كل خُلق كريم، ويحثّون على الصفح، والإحسان، والرحمة، والعدل، والصبر، والرفق، والحياء، ويأمرون بالحلم في موضعه، والحزم في موضعه، ويربّون النفس على تهذيب الطبع، وتنقية القلب، والتحلي بالصدق، واجتناب الكذب، والغيبة، والنميمة، وسائر مساوئ الأخلاق وأراذل الطباع. فالأخلاق عندهم معيار ظاهر على صدق الإيمان، ومؤشر خفي على صلاح القلب.

ويعتقدون أن أكمل الناس إيمانًا وأصدقهم يقينًا، هم أحسنهم أخلاقًا، وأقومهم سلوكًا، وأصدقهم قولًا، وأوفاهم عهدا، وأكثرهم للناس نفعًا ، وأحراهم بالبعد عن الفحش والرذيلة. فالإيمان عندهم ليس شعارًا يُرفع، بل حقيقة تنطبع على الجوارح والخلائق، تظهر في الصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والإنصاف في الخصام، والتواضع في الرئاسة، وحسن العهد والوفاء.

ويأمرون بالالتزام بشرائع الإسلام الظاهرة والباطنة، عملًا واقتداءً، ويحرصون على تطبيق الدين كما جاء به النبي ﷺ، ملتزمين بهيئاته وصفاته، وتمام أركانه

وآدابه، محذرين من كل ما يفسده أو ينقصه من رياء أو بدعة أو تهاون. يرون أن عبادة لا تُؤدى على الوجه المشروع تُعرض للخلل، وأن البُعد عن السنة مدخل إلى الزيغ والانحراف، فكانوا أوفى الناس تمسكًا بهدي النبي في أصول الدين وفروعه.

ويعتقدون أن الجهاد في سبيل الله ماضٍ إلى قيام الساعة، لا يُبطله ظلم ظالم ولا فسق فاسق، فهو ذروة سنام الدين، وعز الأمة ودرعها، وسبيل نصرتها وعلو شأنها. ويشمل عندهم جهاد العلم والبيان، بتبليغ الحق والرد على الشبهات، وجهاد السيف والسنان، بدفع المعتدين، ونصرة المستضعفين، وإعلاء كلمة الله.

ويرون أن الدفاع عن الدين واجب على كل مسلم بحسب استطاعته، بالقلب أو باللسان أو بالبدن، مع مراعاة الضوابط الشرعية، والتأني في فقه الواقع، والتزام السنة في الوسائل والغايات.

ويعتقدون أن وحدة صف المسلمين من أعظم مقاصد الشريعة، وأهم أسباب النصر والتمكين، وأن الاختلاف المذموم والفرقة والبغضاء شر عظيم، يؤدي إلى الضعف والوهن وذهاب الريح. فيحرصون على جمع كلمة المسلمين، والسعي الحثيث في تأليف قلوبهم، وتقريب النفوس، وربطها بروابط المحبة في الله، والولاء للإيمان، ويحذرون من كل ما يفضي إلى النزاع والقطيعة والتدابر، من قول أو فعل أو نزعة هوى. ويبذلون في سبيل ذلك كل وسيلة مشروعة، علمية كانت أو عملية، ساعين في الإصلاح والبناء، لا في الهدم والفرقة.

ومن تمام هذا الأصل الجليل: أنهم يحفظون للناس حقوقهم، ويصونون الدماء والأموال والأعراض، ويحرِّمون أذية الخلق أيًّا كانت وسيلتها، باليد أو اللسان أو القلب.

فلا يجوز عندهم التعدي على مسلم في نفسه أو عرضه أو ماله أو كرامته، ويأمرون بالعدل في كل معاملة، صغيرها وكبيرها، فردية أو جماعية، ويرون أن الإنصاف أصل من أصول التعامل، وأن الإحسان مقام رفيع من مقامات العبودية، ويحضون على الفضل والتسامح، والعفو مع القدرة، ويتأسون في ذلك بخُلق النبي ﷺ.

ويعتقدون أن خير الأمم على الإطلاق هي أمة النبي محمد ﷺ، وقد اصطفاها الله تعالى وفضلها على سائر الأمم بالنبوة الخاتمة، والكتاب الباقي، والشهادة على الخلق، ولهذا وجب على أفرادها أن يكونوا خير الناس، عدلًا ورحمة وعلمًا ودعوة.

ويعتقدون أن أفضل هذه الأمة هم أصحاب رسول الله ﷺ، الذين آمنوا به، وجاهدوا معه، ونصروا الدين، وضحّوا بالغالي والنفيس.

ويتقدمهم في الفضل الخلفاء الراشدون المهديّون: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، رضي الله عنهم، ثم العشرة المبشرون بالجنة، وأهل بدر، وأصحاب بيعة الرضوان، والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وكل من ثبت له الفضل بنص أو إجماع ، فيحبونهم جميعًا، ويترضّون عنهم، ويدينون لله بحبهم وتعظيمهم، ويرون أن محبتهم من الدين، وأن سبّهم أو الحط من قدرهم من الضلال والزيغ، فهم خير الخلق بعد الأنبياء، نقلوا الدين، وبلّغوا الرسالة، وفتحوا القلوب بنور الوحي، وكانوا خير جيل عرفه التاريخ.

وينشرون محاسنهم، ويذكرون آثارهم، ويأخذون العلم عنهم، ويسكتون عما شجر بينهم،. ويرون أن ما جرى بينهم فيه اجتهاد مغفور، وأن فضلهم يغمر ما قد يقع من تقصير، وحسابهم على الله وحده.

ويعتقدون أن أزواج النبي ﷺ هن أمهات المؤمنين، فضلهنّ ثابت، وحرمتهنّ باقية، وهنّ أزواج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، اختارهنّ الله لصحبة نبيه، فطهّرهنّ من كل سوء، وجعلهنّ منارات للعلم والتقى.

ويخصّون بالذكر والفضل عائشة الصدّيقة بنت الصدّيق رضي الله عنها، المبرأة من فوق سبع سماوات، فيعتقدون طهارتها وعفتها، وأنّ من رماها بما برأها الله منه فهو كافر بالله العظيم، خارج عن الملة، لتكذيبه صريح القرآن. ويؤمنون بفضلها وعلمها، وأنها كانت أفقه نساء الأمة، ونقلت للأمة شطرًا عظيمًا من هدي المصطفى ﷺ.

ويترضّون عن خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، أولى المؤمنات، التي نصرت النبي ﷺ في ساعة العسرة، وبشرها الله ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب، وعن سائر أمهات المؤمنين الطيبات الطاهرات، فيتولونهنّ جميعًا، ويحفظون فيهنّ وصية رسول الله ﷺ، وينزلونهنّ مكانتهنّ التي تليق ببيت النبوة، دون غلوّ أو جفاء.

ويرون توقير العلماء العاملين، والأئمة المخلصين، والدعاة الربانيين الذين قادوا الناس بالهدى، وبذلوا أعمارهم في تعليم الشريعة، وهداية الأمة، وإقامة الحجة، وإحياء السنّة أصل من الدين . فيُجلّونهم لعلمهم وإخلاصهم، ويعرفون لهم أقدارهم، ولا يجعلونهم معصومين، ويرون احترامهم من إجلال دين الله،

فالعلماء عندهم ورثة الأنبياء، وأئمة العدل، وحصون السنّة، ومصابيح الدجى، لا يُنال منهم، ولا يُتجاوز حقهم، ولا تُنقص مكانتهم.

ويدينون لله بحب آل بيت رسول الله ﷺ الأطهار، ويحفظون فيهم وصية النبي المختار، ويرون أن محبتهم من تمام محبة النبي ﷺ، لا يغلون فيهم غلو الروافض، ولا يجفون في حقهم جفاء النواصب.

ويعتقدون فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رابع الخلفاء الراشدين، وصهر النبي الأمين، وأول من آمن من الصبيان، فهو وليّ كل مؤمن، وفارس الإسلام المشهود له بالجنة، يحبونه ويتولونه ويؤمنون بأنه أفضل الأمة بعد أبي بكر وعمر وعثمان.

ويؤمنون بمنزلة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، بضعة النبي ﷺ وسيدة نساء أهل الجنة، التي كانت أشبه الناس بهديًا وسمتًا، صابرة محتسبة، وأحب أهل بيته إليه.

وكذا يحبون ريحانتي النبي ﷺ من الدنيا: الحسن والحسين رضي الله عنهما، سيدي شباب أهل الجنة، اللذين أذهب الله عنهما الرجس وطهرهما تطهيرًا، فيعرفون للحسن فضله في الإصلاح وحقن دماء المسلمين، وللحسين فضله وثباته ومكانته، ويرون أن مقتلهما أو النيل منهما من عظيم المصائب والضلال، فمحبتهم دين وقربة، وبغضهم نفاق وزيغ، فهم عترة المصطفى، وذرية الهدى، والوارثون للمجد والتقى.

ويقف أهل السنة والجماعة موقف الوسط والعدل من الفرق التي فارقت سبيلهم، فيبينون ضلال من ضل، متمسكين بصحيح المنقول وصريح المعقول.

فهم في باب القدر وسط بين القدرية والجبرية؛ فيردون على القدرية الذين نفوا قدر الله وزعموا أن العبد خالق فعله، ويؤمنون بأن الله خالق كل شيء، وأن مشيئته نافذة، كما يردون على الجبرية الذين سلبوا العبد إرادته، ويثبتون أن للعبد مشيئة واختيارًا بها يُثاب ويُعاقب، لكنها تابعة لمشيئة الخالق سبحانه.

وفي باب الإيمان يخالفون المرجئة والوعيدية؛ فيردون على المرجئة الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان وزعموا أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، ويعتقدون أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. كما يخالفون الخوارج والمعتزلة الذين كفروا بالذنوب، فيرون أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الملة، بل هو مؤمن ناقص الإيمان، وأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

وفي باب الصفات يردون على الجهمية والمعطلة الذين نفوا عن الله ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، وعطلوا الذات الإلهية من كمالها، فيثبت أهل السنة لله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تكييف ولا تعطيل، ممتثلين قوله تعالى: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير."

وفي باب الصحابة والإمامة يباينون الرافضة الذين غلوا في آل البيت وجفوا في حق الصحابة، فسبوا الأخيار وكفروا الأبرار، بل يعتقد أهل السنة وجوب محبة الصحابة والآل جميعًا، ويرون أن تقديم أبي بكر وعمر هو محض اتبا ع للحق، وأن الطعن في الصحابة طعن في الدين الذي نقلوه، فدين أهل السنة مبني على سلامة القلوب والألسنة لجميع سلف هذه الأمة.

ويرون أن هذه الفرق وغيرها قد فارقت الجماعة في أصولها، فكان واجبًا بيان زيفها نصحًا للأمة، وحمايةً لجناب التوحيد، وصيانةً للسنة من تحريف الغالين وانتحال المبطلين.

ويوقّرون كل من خدم الإسلام بصدق، وجاهد بعلمه وعمله، وقام بواجب النصيحة، وكان سببًا في نشر الخير وصلاح الخلق، سواء كان معلمًا أو مربِّيًا أو مصلحًا أو واعظًا أو راعيًا أو قاضيًا، فإن لهم جميعًا من التوقير بقدر ما لهم من النفع والفضل.

ويباينون الأشاعرة في أبواب من أصول الدين، لاسيما في باب الصفات الخبرية والعلو والكلام، ويرون أنهم وإن وافقوا أهل السنة في كثير من المسائل وردوا على المعتزلة والجهمية، إلا أنهم سلكوا مسلك التأويل أو التفويض في غير محله، فخالفوا بذلك ما كان عليه الصحابة والتابعون من إثبات الصفات لله كما وردت على حقيقتها اللائقة بجلاله.

وقد قام علماء أهل السنة بنصحهم وبسط الحجة لهم، مقتدين في ذلك بما انتهى إليه إمامهم أبو الحسن الأشعري رحمه الله؛ الذي مرّ بأطوار في حياته حتى استقر أمره في كتابه الإبانة عن أصول الديانة ومقالاته الأخيرة على منهج أهل السنة والأثر، فأثبت لله العلو والاستواء واليدين والوجه وغيرها من الصفات الخبرية بلا تأويل ولا تعطيل، متبعًا في ذلك إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

لذا يعتقد أهل السنة والجماعة أن المنهج الثابت عن أبي الحسن الأشعري الذي مات عليه هو عين ما يعتقده أهل الحديث والأثر، وأن من تأخر عنه وخالفه في التأويل قد فاته التحقيق في اتباع مذهب الإمام، فيدعونهم إلى الرجوع لِما

استقر عليه أمره، والتمسك بالوحيين في الفهم والاعتقاد، ليكونوا مع الجماعة الأولى في الأصول والفروع، ظاهرين بالحق، بعيدين عن كدر المناهج الكلامية التي أورثت الحيرة والاضطراب.

ويبرؤون من مسلك الباطنية وسائر الحركات التي تزعم أن للنصوص شرعًا ظاهراً وحقيقة باطنة لا يعلمها إلا خواصهم، فيعطلون الشريعة ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويرون أن هذا المسلك هدم للدين وتقويض لأركانه، فالوحي بيان للناس كافة، ليس فيه ألغاز ولا طلاسم تخالف ما استقر عليه لسان العرب وهدي السلف.

وكذا يخالفون غلاة الصوفة الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، فغلوا في الصالحين حتى صرفوا لهم أنواعًا من العبادة، واعتقدوا فيهم النفع والضر من دون الله، أو زعموا الحلول والاتحاد بسقوط التكاليف عن الخواص، فيؤكد أهل السنة أن العبادة حق خالص لله وحده، وأن الاتباع مقدم على الابتداع، وأن كرامات الأولياء حق، لكنها لا تخرج صاحبها عن دائرة العبودية ومتابعة الشريعة، فكل طريق لم يسلك خلف النبي ﷺ فهو مسدود.

كما يباينون أهل الكلام الذين قدّموا العقول القاصرة على النصوص الصحيحة، فخاضوا في المتشابه وتركوا المحكم، وأورثهم ذلك شكًا وحيرة؛ بينما أهل السنة والجماعة يعظمون النص، ويرون أن العقل الصريح لا يصادم النقل الصحيح أبداً، بل هو مؤيد له وشاهد عليه، وأن السلامة في التسليم لله ولرسوله ﷺ.

ويرون أن جماع هذه الفرق قد فارقت الجماعة بتركها الأثر وتقديمها الهوى أو القياس الفاسد، فكان مذهب أهل السنة هو الميزان الذي تضبط به المقالات،

فما وافق السنة قُبل، وما خالفها رُدّ، ليبقى الدين نقيًا كما نزل، بعيدًا عن شوائب التحريف وانتحال المبطلين.

ويحذرون من مسلك المشبهة والمجسمة الذين غلوا في الإثبات حتى شبهوا الخالق بالمخلوق، فضلوا عن سواء السَبيل، بل يعتقد أهل السنة أن الله سبحانه موصوف بصفات الكمال، منزه عن مشابهة الأنام، فلا يمثلون صفاته بصفات خلقه، كما لا يعطلونها عن معناها الصحيح.

كما يبرؤون من الخوارج قديمًا وحديثًا، الذين يستبيحون دماء المسلمين ويكفرونهم بالذنوب، ويخرجون على جماعة المسلمين وإمامهم، فيرون أن مسلكهم في التكفير والخروج هو من أعظم أسباب الفتنة والفساد، وأن المنهج الحق هو لزوم الجماعة والنصح لولاة الأمر بالمعروف، والرفق بالرعية.

وفي العصر الحديث، يقف أهل السنة حائط صد أمام الأفكار الهدامة والمذاهب المادية؛ فيردون على العلمانية التي تنحي الدين عن الحياة، وعلى الليبرالية التي تدعو إلى التحلل من ثوابت الشرع باسم الحرية، وعلى الإلحاد الذي ينكر وجود الخالق سبحانه، ويرون أن هذه النحِل مصادمة للفطرة السوية، ومناقضة لشهادة أن لا إله إلا الله، وأن الإسلام دين شامل ينتظم العقيدة والشريعة والأخلاق.

ويجتنبون مناهج العقلانيين المحدثين الذين جعلوا عقولهم حاكمة على وحي الله، فردوا من السنة ما لم يوافق أهواءهم، وشككوا في الثوابت بدعوى التجديد، فيؤكد أهل السنة أن التجديد الحقيقي هو بالرجوع إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وفهم النص في ضوء لغة العرب ومقاصد الشرع، لا بهدم الأصول وتحريف المعاني.

ويبرؤون من مسلك القرآنيين الذين زعموا الاكتفاء بالقرآن الكريم وحده ونبذوا سنة النبي الأمين ﷺ، ويرون أن هذا المسلك هو في حقيقته هدم للقرآن الذي أمر بطاعة الرسول ﷺ واتباعه، وجعل سنته بيانًا وتفصيلًا لمراد الله في كتابه.

فيعتقد أهل السنة أن الوحي وحيان: كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وأن السنة قاضية على الكتاب وموضحة لمجمله، ومخصصة لعمومه، فلا تُعرف تفاصيل الصلاة والزكاة والحج وأحكام الحلال والحرام إلا بها. ويرون أن من أنكر حجيّة السنة جملةً فقد خرج عن جادة الإسلام، لتكذيبه لقوله تعالى: "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا."

ويرون أن الطعن في دواوين السنة كصحيح البخاري وصحيح مسلم هو طعن في حملة الشريفة وصحابة النبي ﷺ الذين نقلوها، ووسيلة لتمييع الدين وجعله عرضة للأهواء والآراء، لذا يتمسكون بما ثبت عن النبي ﷺ من قول وفعل وتقرير، ويعتبرونه أصلًا من أصول الإيمان لا يستقيم إسلام المرء إلا بالتسليم له والعمل به، سائرين في ذلك على ما خطّه الأئمة الأوائل الذين حفظ الله بهم الملة وحمى بهم الشريعة.

ويرون أن العصمة من هذه الفتن والمضلات إنما تكون بالاعتصام بحبل الله المتين، والالتفاف حول العلماء الربانيين، وتقديم الوحي على كل رأي وهوى، ليبقى المسلم ثابتًا على الصراط المستقيم، في زمن كثرت فيه الأهواء وتفرقت به السبل.

ومع التوقير لأهل الفضل، فهم يُقرون أن الثبات على الحق والسلامة من الفتن نعمة وفضل، فيسألون الله دائمًا أن يُعيذهم من فتنة الشك الذي يُزلزل الإيمان،

ومن الشرك الذي يُهلك الإنسان، ومن الشقاق الذي يُمزق الصفوف، ومن النفاق الذي يُفسد القلوب، ومن سوء الأخلاق الذي يُذهب المروءات، ويطفئ نور الإيمان.

ويتضرعون إلى الله ليل نهار أن يُثبّتهم على دين نبيهم محمد ﷺ إلى أن يلقوه، لا يبدّلون ولا يفتنون، ولا يستبدلون الهوى بالهدي ، ولا البدعة بالسنّة ، بل يلقونه على الميثاق الذي عاهدوه عليه، متمسكين بالحق الذي مات عليه خير خلقه، رجاء الفوز باللقاء الآمن، والنظر الكريم، والمقام في دار الخلود مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

تلك أصول عقيدة أهل السنة والجماعة التي تنبني عليها عقيدتهم، وتستقيم بها عبادتهم، وتنتظم بها حياتهم. يؤمنون بها عن علم ويقين، ويعتقدونها في قلوبهم اعتقادًا جازمًا لا تزلزله الشبه، ولا تهزه الفتن، ويدعون الناس إليها بالحكمة والموعظة الحسنة، حبًا في الخير ورحمة بالخلق واتباعًا للرسل.

فليست شعارات تُتلى، ولا مفاهيم تُردد، بل منهج حياة، وميراث نبوة، وروحٌ يسري في الفكر والعمل والأخلاق، يجمع بين العلم والتزكية، بين التوحيد والاتباع، بين العدل والرحمة، بين الثبات والانفتاح، بين الجهاد بالحجة وجهاد التضحية. تُسقى هذه الأصول بروح الإخلاص، وتُبنى بحُسن الاتباع، وتُروى باليقين والرجاء، وتُؤتى أُكلها بالصبر والثبات. فهم بها يؤمنون، ولها يعتقدون، وعليها يحيون، وإليها يدعون، حتى يلقوا الله على الصراط المستقيم.

نثني عليه بما هو أهله ونحمد الله تعالى على نعمة التوحيد والإيمان، وعلى أن هدانا لهذا المنهج الراشد، والميزان العادل، الذي جمع بين صفاء الاعتقاد، وسلامة القصد، وصحة العمل، والتزام السنّة، وصدق الاتباع.

نسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أن يثبتنا على الحق حتى نلقاه، وأن يجعلنا من عباده الصادقين المخلصين، الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون .

ونسأله سبحانه أن يُعلي راية الإسلام والسنة، ويجمع كلمة المسلمين على الهدى، ويؤلف بين قلوبهم، ويغفر لمن مات منهم، ويشفي مريضهم، ويهدي ضالهم، ويقيل عثرات المخطئين منهم.

اللهم اجعل هذا البيان نورًا في صدورنا، وذخرًا في صحائفنا، وسببًا لرضوانك، واجعلنا من المقبولين ، ولا تجعل لنا فيه رياءً ولا سمعة، واجعله خالصًا لوجهك الكريم، نافعًا لعبادك أجمعين.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه ومولاه :

أبو إلياس طه بن إبراهيم القلموشي المصري ، الأزهري الشافعي السني

7 يناير 2025 الثلاثاء 7 رجب 1446 هـ